وكانَ رسولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا ذُكِرَ لِي، يحدِّث عَمَّا كانَ الله يَحْفَظُهُ به في صِغَرِهِ وأَمْرِ جاهليته أنه قال: «لَقَدْ رَأَيْتُني في غِلْمَانِ قريشٍ نَنْقُلُ حجارةً لبعضِ مَا يَلْعَبُ به الغِلْمَانُ، كُلُّنَا قد تَعَرَّى وأخذ إزَارَهُ فجعله عَلَى رَقَبَتِهِ يَحْمِلُ عليه الحِجَارَةَ: فإني لأُقْبِلُ مَعَهُم كذلك وأُدْبِرُ إذْ لَكَمَني[1] لاكم ما أراهُ لكمةً وجيعةً؛ ثم قال: شُدَّ عَلَيْكَ إزَارَكَ، قال فأخذتُهُ وشَدَدْتُه عليّ، ثم جعلت أَحْمِلُ الحِجَارَةَ عَلَى رَقَبَتِي[2]، وَإزَارِي عليَّ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِي» [١٣٤].

حَرْبُ الْفِجَارِ

قال ابن هشام: فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، أو خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، فيما حدثني أبو عُبَيْدة (٣٣/ب) النحويُّ، عن أبي عمرو بن العلاء؛ هاجَتْ حربُ الفجارِ[3] بين قريش ومن معها من كِنَانَةَ، وبين قَيْس عَيْلاَنَ.

---

[١٣٤] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٠ ـ ٣١) من طريق ابن إسحاق به. وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٤٨ ـ ٣٤٩) عن ابن إسحاق. وينظر «سبل الهدى والرشاد» (٢/ ١٤٧).

---

(١) لكمني: أي لكزني.

(٢) قال السهيلي: هذه القصة إنما وردت في الحديث الصحيح في حين بنيان الكعبة، كان عليه السلام يحمل الحجارة وإزاره مشدود عليه، فقال له العباس: يا ابن أخي، لو جعلت إزارك على عاتقك ففعل، فسقط مغشيًا عليه، ثم قال: إزاري، إزاري، فشد عليه إزاره، وقام يحمل الحجارة، وفي آخر أنه لما سقط ضمه العباس إلى نفسه، وسأله عن شأنه فأخبره أنه نودي من السماء أن اشدد إزارك يا محمد، وإنه لأول ما نودي ولعل هذا وقع له ﷺ مرتين: في حال صغره، وعند بنيان الكعبة» اهـ. ومن ذلك ما ذكره صاحب عيون الأثر بسنده وابن عساكر يصل به إلى علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما هممت بشيء مما يهم به أهل الجاهلية إلا مرتين من الدهر، كلتاهما عصمني الله عز وجل منهما، أي: من فعلهما، قلت ليلة لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في غنم لأهله يرعاها: أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان، قال: نعم، فخرجت، فلما جئت أدنى دار من دور مكة سمعت غناء، وصوت دفوف، ومزامير، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: فلان تزوج فلانة، لرجل من قريش، فلهوت بذلك الصوت، حتى غلبتني عيني. فنمت، فما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبي، فقال: ما فعلت؟ فأخبرته، ثم فعلت الليلة الأخرى مثل ذلك؛ فقال رسول الله ﷺ: ما هممت بعدها بسوء مما يعمله أهل الجاهلية، حتى كرمني الله عز وجل بنبوته».

(٣) الفِجَار بكسر الفاء بمعنى المفاجرة، كالقتال بمعنى المقاتلة، وذلك أنه كان قتالهم في الشهر الحرام ففجروا فيه جميعاً فسمي الفجار. وكانت للعرب فجارات أربع ذكرها المسعودي.
يوم شَمْطة: بشين معجمة مفتوحة فميم ساكنة فظاء معجمة.
يوم العَبْلاء: بعين مهملة مفتوحة فباء موحدة ساكنة فلام فألف ممدودة. =

سبب حرب الفجار

وكَانَ الَّذِي هاجها أنَّ عُرْوَةَ الرَّحَّالَ بن عُتبة بن جَعْفر بن كلاب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعة بن مُعَاوية بن بكر بن هَوَازن أجَارَ لَطِيمَةَ[1] لِلنُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ، فَقَالَ لَهُ الْبَرَّاض بن قَيْس أحدُ بني ضمْرة بن بكر بن عَبْدِ مَنَاةَ بن كنانة:

أتجيرُها عَلَىٰ كنَانَةَ؟ قال: نَعَم وَعَلَى الخَلْقِ كُلِّهِ فَخَرَجَ فيها عُرْوة الرَّحَّال، وخرج الْبَرَّاض يطلب غَفْلته، حَتَّى إِذَا كان بتَيْمَنَ ذِي طَلاَل[2] بالعالية غَفَل عُرْوةُ، فوثب عليه الْبَرَّاض؛ فقتله في الشَّهْرِ الحَرَامِ، فلذلك سُمِّي الفِجَارَ، وقال الْبَرَّاضُ في ذلك [من الوافر]:

وَدَاهِيَةٍ تُهِمُّ النَّاسَ قَبْلِي ... شَدَدْتُ لَهَا بَنِي بَكْرٍ ضُلُوعِي
هَدَمْتُ بِهَا بُيُوتَ بَنِي كِلاَبٍ ... وَأَرْضَعْتُ المَوَالِيَ بِالضُّرُوعِ[3]
رَفَعْتُ لَهُ بِذِي طَلاَلَ كَفِّي ... فَخَرَّ يَمِيدُ كَالْجِذْعِ الصَّرِيعِ

وقال لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ مالك بن جعفر بن كلاب [من الوافر]:

أَبْلِغْ إِنْ عَرَضْتَ بَنِي كِلاَبٍ ... وَعَامِرَ وَالْخُطُوبُ لَهَا مَوَالِي
وَبَلِّغْ إِنْ عَرَضْتَ بَنِي نُمَيْرٍ ... وَأَخْوَالَ الْقَتِيلِ بَنِي هِلاَلِ[4]

= يوم شَرَب: بشين معجمة فراء مفتوحتين فباء موحدة.
الحُرَيْرة: بحاء مهملة تصغير حرة.
الأربعة أسماء أماكن.
العَنَابِس: بعين مهملة فنون مخففة فألف فباء موحدة مكسورة فسين مهملة جمع عنبس وهو الأسد.
قال في الصحاح: العنابيس من قريش: أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر وهم ستة: حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو، وسموا بالأسد والباقون يقال لهم الأعياص بعين مهملة فمثناة تحتية فصاد مهملة وهم أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر وهم أربعة: العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص.
ينظر: السبل (٢/ ١٥٣).

(١) اللَّطيمةُ: الإبل تحمل التجارة والطيب والبزّ وأشباهها.

(٢) حتى إذا كان بتيمن ذي طلال: الجيد ذي طلال بالتشديد، كما قال:

رفعت له بذي طلأل كفي ....

وأما قول لبيد:

.... عند تيمنَ ذي طِلاَل

فإنما خففه لضرورة الشعر.

(٣) وأرضعت الموالي بالضروع: أشار إلى قولهم: هو لئيم راضع، وينظر: البداية والنهاية (٢/ ٣٥٣).

(٤) ينظر: البداية والنهاية (٢/ ٣٥٤).

بِـأَنَّ الْـوَافِـدَ الـرُّحَّـالَ أَمْـسَـىٰ مُـقِـيـمـاً عِـنْـدَ تَـيْـمَـنَ ذِي طِـلَالِ

وهذه الأبيات في أبيات له فيما ذكر ابن هشام.

القتال بين الفريقين

فأتى آتٍ قُرَيشاً فقال: إنَّ الْبَرَّاض قد قَتَل عُرْوةَ، وهم في الشهر الحرام بـ «عكاظ»[1]، فارتحلوا وَهَوَازِنُ لاَ تَشْعُرُ بِهِمْ ثمَّ بلغهمُ الخَبَرُ، فأتبعوهم، فأدركُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَدخُلُوا الحَرمَ، فاقتتلوا حَتَّى جَاءَ اللَّيْلُ، وَدَخَلُوا الْحَرَمَ، فأمسكت عنهم هَوَازِنُ، ثُمَّ التقوا بعد هَذَا اليوم أياماً والقومُ متساندون[2] عَلَىٰ كُلِّ قبيل مِنْ قُرَيْشٍ وكنانة رئيسٌ منهم، وعلى كل قبيلٍ من قيسٍ رئيسٌ منهم، وشهد رسولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعضَ أيامهم، أخرجه أعمامه معهم، وَقَالَ رسولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُنْتُ أَنْبُلُ عَلَىٰ أَعْمَامِي» أَيْ: أَرُدُّ عنهم نَبْلَ عدوهم إِذَا رَمَوْهُمْ بِهَا [١٣٥].

سِنُّ رسول الله ـ ﷺ ـ عام الفجار وحضوره القتال

قال ابن إسحاق: هَاجَتْ حَرْبُ الفِجَارِ ورسولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنُ عشرين سنةً، وإنما سُمِّيَ يَوْمَ الفِجَارِ بما استحلَّ هذان الحيَّانِ كنانةُ وقيس عُيْلاَن فيه من المَحَارِمَ بينَهُمْ، وكان قائدُ قريشٍ وكنانة حَرْبَ بن أُميَّة بن عبد شَمْسٍ، وكان الظَفَر في أول النَّهار لقيس على كنانة، حتى إِذَا كان في وسط النهار كَانَ الظَّفَرُ لكِنَانَةَ عَلَى قَيْسٍ [١٣٦].

قال ابن هشام: وحديث[3] الفِجَارِ أطولُ مما ذكرتُ، وإنما منعني من استقصائه قَطْعُه

---

[١٣٥] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤) عن ابن هشام. وينظر الكلام على حرب الفجار في «الطبقات الكبرى» لابن سعد (١/ ١٠١ ـ ١٠٣)، و«سبل الهدى والرشاد» (٢/ ١٥٢ ـ ١٥٣).

[١٣٦] ينظر «البداية والنهاية» (٢/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤) و«سبل الهدى والرشاد» (٢/ ١٥٢).

---

(١) عكاظ: سوق من أسواق العرب كانوا يجتمعون فيها كل سنة قبل الإهلال بالحج.

(٢) القوم متساندون: أي ليس لهم أمير واحد يجمعهم.

(٣) وقد فسر ابن هشام معنى حرب الفجار.
وروى ابن سعد أن رسول الله ﷺ قال: قد حضرته ـ يعني: حرب الفجار ـ مع عمومتي ورميت فيه بأسهم وما أحب أني لم أكن فعلته وكنت أنبُل على أعمامي.
وكان آخر أيام الفجار أن هوازن وكنانة تواعدوا للعام القابل بعكاظ فجاءوا للموعد، وكان حرب بن أمية رئيس قريش وكنانة، وكان عتبة بن ربيعة يتيماً في حجره فضربه حرب وأشفق من خروجه معه فخرج عتبة بغير إذنه فلم يشعر إلا وهو على بعيره بين الصفين ينادي: يا معشر مضر علام تفانون؟ =

حَدِيثُ تَزْوِيجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ خَدِيجَةَ. عليها السلام (١)

سِنُّ رسول الله ـ ﷺ ـ عام زواجه بها

قال ابن هشام: فَلَمَّا بَلَغَ رسولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خمساً وعشرين سنة تَزَوَّجَ

---

[١٣٧] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٥٤).

= فقالت له هوازن: ما تدعو إليه؟ قال: الصلح على أن ندفع لكم دية قتلاكم وتعفوا عن دمائنا. قالوا: وكيف ذاك؟ قال: ندفع إليكم رهناً منا. قالوا: ومن لنا بهذا، قال أنا: قالوا، ومن أنت؟ قال: أنا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس. فرضوا ورضيت كنانة ودفعوا إلى هوازن أربعين رجلاً فيهم حكيم بن حزام فلما رأت بنو عامر بن صعصعة الرهن في أيديهم عفوا عن الدماء وأطلقوهم وانقضت حرب الفجار.

وكان يقال: لم يسد من قريش مملق يعني فقيراً غير عتبة وأبي طالب فإنهما سادا بغير مال.

تنبيه: ذكر السهيلي أن النبي ﷺ لم يقاتل في حرب الفجار. وقد تقدم عن ابن سعد أن رسول الله ﷺ قاتل فيه. ينظر: السبل (٢/ ١٥٢ ـ ١٥٣).

(١) وسبب ذلك ما حدّثها به غلامها ميسرة وما رأته من الآيات وما ذكره ابن إسحاق في المبتدأ قال: كان لنساء قريش عيد يجتمعن فيه في المسجد فاجتمعن يوماً فيه فجاءهن يهودي فقال: يا معشر نساء قريش إنه يوشك فيكن نبي فأيكن استطاعت أن تكون فراشاً له فلتفعل. فحصبه النساء وقبحنه وأغلظن له. وأغضت خديجة على قوله ولم تعرض فيما عرض فيه النساء ووقر ذلك في نفسها، فلما أخبرها ميسرة بما رآه من الآيات وما رأته هي قالت: إن كان ما قاله اليهودي حقًّا ما ذلك إلا هذا.

واختلفوا في سبب الخطبة. فعند أبي سعيد النيسابوري في «الشَّرَف» أن خديجة رضي الله تعالى عنها قالت للنبي ﷺ: اذهب إلى عمك فقل له: عجل إلينا بالغداة. فلما جاء قالت له: يا أبا طالب ادخل على عمرو عمي فكلمه يزوجني من ابن أخيك محمد بن عبد الله. فقال أبو طالب: يا خديجة لا تستهزئي. فقالت: هذا صنع الله. فقام أبو طالب مع عشرة من قومه. فذكر الحديث.

وعند الزهري في سيرته أن رسول الله ﷺ دخل على خديجة ليتحدث عندها فلما قام من عندها جاءت امرأة فقالت: خاطباً يا محمد؟ فقال: كلا. فقالت: ولم؟ فوالله ما في قريش امرأة وإن كانت خديجة إلا تراك كفئاً لها. فرجع رسول الله ﷺ خاطباً لخديجة مستحيياً منها.

وعند يعقوب بن سفيان في تاريخه عن عمار قال: مررت أنا ورسول الله ﷺ بأخت خديجة فنادتني فانصرفت إليها ووقف لي رسول الله ﷺ فقالت: أما لصاحبك هذا من حاجة في تزويج خديجة؟ فقال عمار: فأخبرته. فقال: بلى لَعَمْري. فذكرت لها، فقالت: اغدوا علينا إذا أصبحنا. فغدونا عليهم فوجدناهم قد ذبحوا بقرة وألبسوا خديجة حلة. وذكر الحديث.

وعند ابن إسحاق في المبتدأ أنها قالت له: يا محمد ألا تتزوج؟ قال: ومن؟ قالت: أنا قال: ومن لي بك، أنت أيم قريش وأنا يتيم قريش. قالت: اخطبني. وذكر الحديث.

وروى ابن سعد عن نفيسة بنت منية قالت: كانت خديجة بنت خويلد امرأة حازمة جلدة شريفة مع =